أدب وصف أم معبد للرسول ﷺ كأنك تراه

مولد الربيع النبوي

أحمد محمد
النزال الشديفات

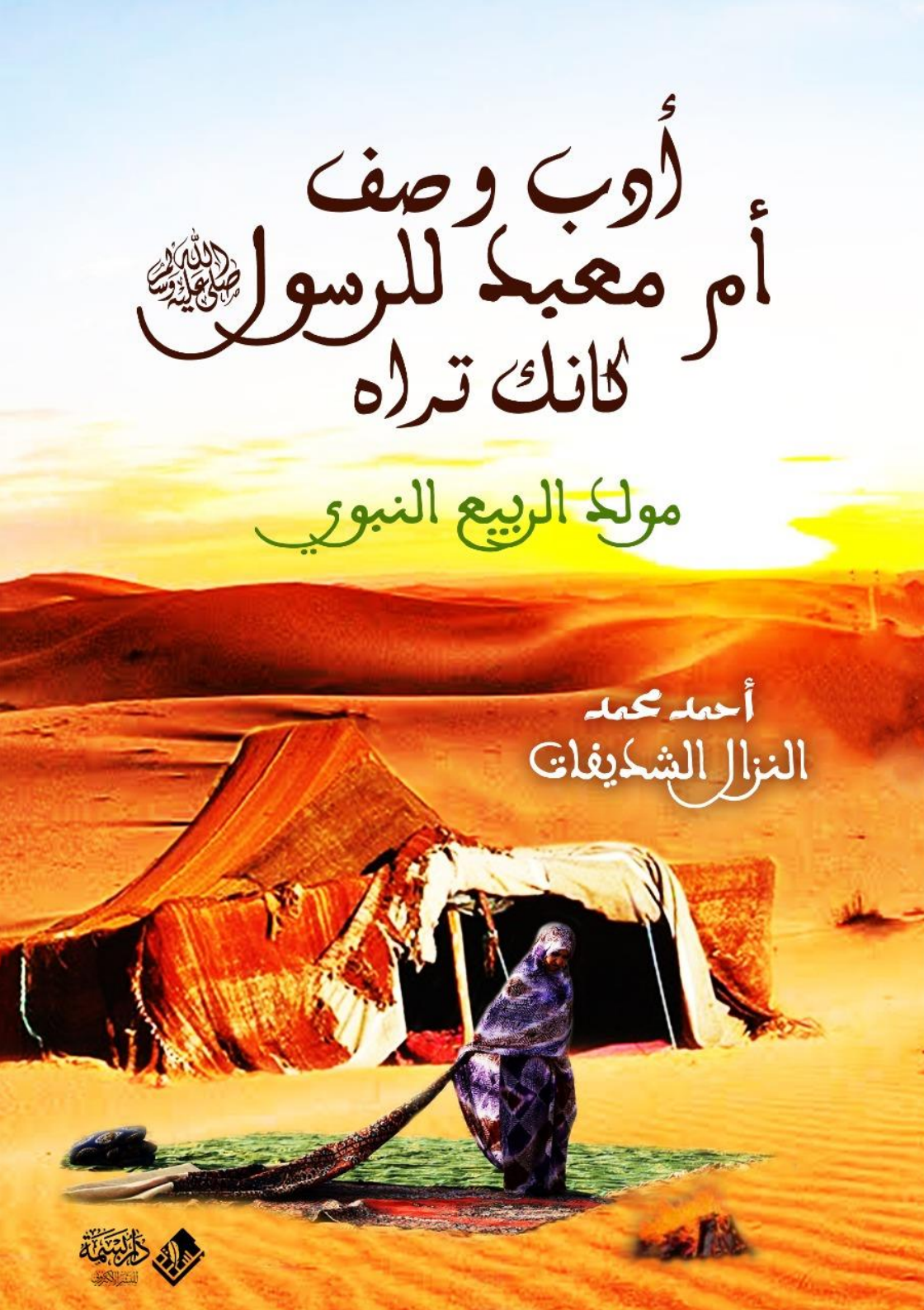

دار السبيعة للنشر الإلكتروني

أدب وصف
أم معبد للرسول ﷺ
كأنك تراه

مولد الربيع النبوي

أحمد محمد النزال الشديفات

اسم الكتاب: أدب وصف أم معبد للرسول ﷺ كأنك تراه

اسم الكاتب: د. أحمد محمد النزال الشديفات

نـوع العمل: سيرة نبوية

عدد الصفحات: 84

الرقم الدولي EBIN: 16-139-01-210813

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الثانية: 2021م / 1443هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

basma24design@gmail.com

المملكة المغربية

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر. ©

أدب وصف
أم معبد للرسول ﷺ
كأنك تراه

مولد الربيع النبوي

سيرة نبوية

د. أحمد محمد شديفات

دار البسمة للنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل محبي رسول الله ﷺ

يا من نفديك بأنفسنا وذريتنا، وآبائنا وأمهاتنا وأموالنا..

جزاك الله خير ما جزى نبيا عن أمته..

مقدمة

تعجز ريشة الفنّان مهما كان أن تبرز صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الخِلْقيَّة والخُلُقيَّة وشمائله النبويّة وصفاته المحمدية...

وتَقصر ألفاظ البيان دون وصف جماله صلى الله عليه وسلم، في حُسْن الشكل والأخلاق...

والشعراء والأدباء وأرباب اللغة قصرت هممهم الإحاطة بكماله صلى الله عليه وسلم، ولم يعطِه حقّه في الوصف من البشر أحدٌ أيًّا كان!!!

وقد وصفه ربّ العالمين في محكم التنزيل في أجمل صورة وتكوين،

قال الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[1].

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...}[2].

---

[1] (القلم: 4).

[2] (آل عمران: 159).

وقال عمرو بن العاص ﷺ:

(وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ)[1].

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وأَحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني ** وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ

خلقتَ مبرأً مِنْ كلّ عيبٍ ** كأنكَ قدْ خلقتَ كما تشاءُ

كنت أسأل نفسي:

لماذا كان العرب يبعثون بأولادهم صغارَ السّنِّ ليعيشوا في أحضان وكنف صحراء البادية رغم قسوتها وجفوتها وقلّة مواردها، وزيادة حرارة أجوائها؟!!

على خلاف ما نحن عليه اليوم، فأدركت ذلك المغزى متأخرًا ولو لشيء قليل!!!

أنّه لم يكن إلّا لصقل مواهبهم، وسلاسة ألسنتهم وفصاحة لغتهم وسلامة فطرتهم، وخُشُونَةُ أظفارهم وخفة أجسادهم!!!

---

[1] رواه مسلم (121).

وفي البادية موطن الفروسية وميدان خيلهم وإبلهم، فيها دماثة أخلاقهم وصفاء أذهانهم، وسعة مداركهم وزينة مرابعهم وحسن صفاتهم منها، وفيها يرضعون لِبان الشهامة والكرامة ويستنشقون هواء الصحة ويعملون على الاستقامة... حياتهم سهلة دون تعقيد!

فيتربّى أبناؤهم في أحضانها فينشأ الولد فصيح اللسان، قوي المراس، فارس الفرسان، بعيدًا عن الأمراض والأوبئة والخمول إذ البادية ساحة ومدرسة معروفة بالطيب والنقاء وقلّة الرطوبة وعذوبة الماء وسلامة اللغة والغذاء...

فهذا الرشاقة والخفَّة ودقة الخَصْر وقلة السِّمَن من صفات أهل البادية فتجد جسمه قَدٌّ رَشيق...

وكل صفة من هذه الصفات أعلاه هي عنوان لهم في الكرم والطيب فجمعوا بين:

الخيل والليل والبيداء... والسيف والقرطاس والقلم...

فصاغوا لغة البيان...

وهكذا نزل عليهم إعجاز القرآن...

في هـذا الصـفاء والنقـاء وطهـارة الثرى وزرقـة السـماء في نجومهـا وقمرهـا وغيومها وبروجها...

وفي وضـح النهـار في بيـداء منقطعـة النظـير ملتهبـة الهجـير يخـدعك فيهـا السـراب مـع حركـة الكثبـان الرمليـة وذرات غبـار عواصـف الصـحراء الرملية...

كانت بداية طريق الهجرة النبويّة في هذا الهجير والمسافة المنقطعة النظير مشيًا على الأقدام إلا من راحلة واحدة، ودليل واحد مشرك عَرف مسالك وطريق الصحراء فهي بحر لجي، ومطية وقلّة زاد وشيء من الماء، ومع سحابة نوره صلى الله عليه وسلم نور ساطع وأشرق هداية تطل على أرجاء المدينة المنورة يسبقها شعاع وضياء هدايته وقد غطّى أنحاء المعمورة كلها رحمة للعالمين كافة...

وحديثه صلى الله عليه وسلم يتردد صداه في الأفق:

{لَيَبْلُغن هـذا الأمـر مـا بلـغ اللَّيـل والنَّهـار، ولا يـترك الله بيـت مَـدَرٍ، ولا وَبَرٍ، إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين...}[1].

---

[1] صححه الحاكم.

ومن بين فجاج جزيرة صحراء العرب وشواطئها الرملية يظهر لك من بعيد في وسطها الفسيح خَيْمَةِ أمّ معبد وحدها في ذلك المكان بين مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة بالقرب في قرية قديد تبعد عن مكّة مائة وخمسين كيلو تقريبا شمالًا، حيث يأنس كل غريب أو طريد أو عابر سبيل إذ انقطع به الطريق إلى واحة أمان ليتزود من تلك الخيمة بالطعام والشراب إن وجد ولو نزر قليل، ويستظل من حر الهجير، ولو لشيء قليل...

ومن هنا كانت طريق هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وبنزوله ظلّت الخيمة البركة وغشيتها الرحمة وتنزّلت على أركانها السّكينة كل ذلك بقدوم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم!

وبين هذا وذاك وعند الوصول سلّم رسول الأنام على أهل ذلك المكان فأنار حوله بنوره وطهارته الزمان والمكان...

من هذه تلك المرأة التي سيأخذك حديثها الممتع حول صفات الرسول صلى الله عليه وسلم بكلِّ دقّة وحكمة؟

فبانت من أطراف الخيمة امرأة عَفِيفَةٌ عَاقِلَةٌ شريفة في قُوَّة وَصَلَابَة جفاء البادية ملامحها سمراء لفحتها شمس البيداء...

وممشوقة كرمح في كنانة أو سهم كعود غصن البان!

كـل ذلـك يـدل علـى أنّهـا تملـك ذهنًـا صـافيًا كصـفاء سمـاء الصـحراء ونقائها...

وما أن رأت أنوار وجه النبي محمد عليه الصلاة والسلام تتلألأ إلّا وقد تَفَتَّقَت قريحتها وسجلت في ذاكرتها صورة الأوصاف النبوية..

فإذا هي أديبة راوية تعرف بالأنساب والأحساب والصفات، كيف لا وهي عربية من أهل أصفى أهل البادية وحاضرتها...

فهي تملك لسانًا يقطر شهد الفصاحة والبيان والرّصانة والرّزانة والرّاجحة في العقل دون الخيال!

فرحَّبت حالها ومقالها بالرسول وصحبه الكرام، بكل أدب وحشمة وكرم أخلاق ووقار واحْتِرام

قالت مرحبة بوفد الرسول صلى الله عليه وسلم: حللتم أهلاً وجئتم سهلاً ضيفًا كريمًا تسعك قلوبنا ومُقَلُنا قبل خيمتنا المتواضعة!

هل تعرف من تكون هذه؟

أو سمعت بها من قبل ذلك؟؟؟

طبعًا الكثير قرأ السّيرة النّبويّة فعلم من هي،

إنّها أمّ معبد الخزاعية أخت الصحابي حبيش الكعبي رضي الله عنه.

فقد اختارت خيمتها في كبد الصحراء محطة النزلاء،

وهي المعروفة بصاحبة الشويهات العجاف اللواتي أصابهنّ القَحْطُ والجَدْبُ والهزلُ من قلة الطعام في سنة شهباء...

وقد حلت عليهن بركة الرسول صلى الله عليه وسلم فتفتقن لبنا شبعا في غير وقته وحينه....

{...مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟...}

ويدور الحديث التالي الطيب الكريم بين الرسول المهاجر صلى الله عليه وسلم، وأمّ معبد الخزاعية وهو حديث طريف خفيف لطيف كصاحبه.

يرى صلى الله عليه وسلم في زاوية الخيمة تقبع شاة ضعيفة هزيلة قد أعياها التعب والجوع فأقعدها دون حراك، لفت نظره ذلك، في خيمة قد خلت من كل مقوّمات الحياة إلّا من هذه الشاة العجفاء، التي لا تثير الاهتمام من أحد إلّا منه عليه الصلاة والسلام!

يشاهدها الرسول صلى الله عليه وسلم... وقد دقّق فيها وفي حالها؟

فقَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟»

سؤال مستفهم ومستغرب عن وجود شاة واحدة في الخيمة!

قَالَتْ: شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ، عَنِ الْغَنَمِ...

جواب ودليل مقنع عن حالة الشاة الضعيفة وسبب تخلّفها عن القطيع...

قَالَ: «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟»

قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ...مختصر مفيد، مقالها يفيد من أين لها اللبن؟

قَالَ: «أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبَهَا؟»

عليك الصلاة والسلام يا رسول الله كيف تعلمنا استئذان صاحب الحاجة،

سؤال لطيف عن حال الشاة التي قد أقعدها الجهد والضنك والتعب والهزال ولا تبض باللبن لضعف حالها وقلّة حيلتها، طالما لا لبن فيها تأذنين لي أن أحلبها برهن لكل إنسان أن بركة الرسول قد حلت على هذه الشاة العجفاء...

قَالَتْ: "بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا"

عرض في استغراب وتعجب وعدم ممانعة بطريقة ممتعة.

يا سلام ما أحلى كلامها "بأبي أنت وأمي" أفديك بهما دعوة جميلة لما لمست من طيب أخلاقه،

فقالت: أنا لا أرى بها لبنا إلّا إن رأيت أنت بها حلبًا فاحلبها فالأمر متروك لك

لنتابع وننظر الآن ماذا سيفعل صلى الله عليه وسلم...

– فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –أي قرّب الشاة إليه– أوّل البركات القرب منه صلى الله عليه وسلم

– فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا

متابعة حثيثة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله فمسح ضرعها بيده الشريفة المباركة، حرك عليه الصلاة والسلام استعداد الضرع لما هو مطلوب منه بأمر الله...

– وَسَمَّى اللَّهَ تَعَالَى

تصور أيها المسلم كم للتسمية من أثر وبركة فلا تنسى ذلك في كل أحوالك وأقوالك وذهابك وإيابك...

– وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا

من قَدم الخير لك وأحسن فلا تنسى أن تشكره وتدعو له أقل القليل في أهله وماله وولده ومتاعه حتى تعلم أنّك أوفيته حقه هذا ما يجلب المحبة والسرور والبهجة والرضى في النفوس ...تعاليم نبوية شريفة مرضية..

– فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ

تَفَاجت أي فَتَحْتُ وباعَدتُ بينَ رجليها استعدادًا لحَلْبِها، أحست الشاة بوجود اللبن في ضرعها فتهيئة للحلبِ...

كل هذا الفعل قام به صلى الله عليه وسلم ولم يقم به أحد سواه من صحبه، وعلى مرأى منهم ومن وأمّ معبد وهي تتابع وتشاهد بكل استغراب!

– وَدَرَّتْ، فَاجْتَرَّتْ

بدايات البركة دَرَّتِ وامتلأ الضرع لبنًا، وكأنّها شاة مَرعَى فدبّت فيها حياة الاجْتِرار وهي إعادة الطعام من كرش الشاة لمضغه مرة أخرى وهو خاص بالغنم وغيرها من الأنعام. وهذا أكبر دليل على الشبع وحركة الحياة بعد جفاف جوفها وضرعها معًا، وها هي أمامك تجتر دليلًا آخر على إعجاز البركة...

الآن اكتملت صورة الحياة المباركة وتهيئة الشاة للحليب ببركة الحبيب صلى الله عليه وسلم والقوم ينظرون وينتظرون بركة السقيا...

– فَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ

دعا صلى الله عليه وسلم بإناء يضع الحليب فيه، أَرْبَضَ معناه يسقي الرهط حتى يروهم، والرهط من الثلاثة إلى التسعة. وَكان مع الرسول عليه الصلاة والسلام، أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَدَلِيلُهُمَا اللَّيْثِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ وأمّ معبد وزوجها... والغائب أبو معبد.

– فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا، حَتَّى عَلَاهُ الْبَهَاءُ

فحَلَب فيه ثَجّاً أَي تدفق وتتابع نزول اللبن من الضرع غزيرًا كثيرًا حتى علته الرَغْوَة البيضاء فهو منظر جميل وله صوت خشخشة لطيفة خفيفة هي الأجمل.

ويكفي أنّه قد خالطته بركته صلى الله عليه وسلم فقد أختلف عن غيره من اللبن فهو مبارك ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم

– ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوِيَتْ

هـا هـي الأخـلاق والتربيـة والتعليم الحكيم تتجلى سبحان الله مـا أحلى أدبه!

بدأ عليه الصلاة والسلام بأمّ معبد صاحبة الشاة الهزيلة ليريها قدرة الله،

وتذوق طعم اللبن من ضرع شاتها الضعيفة، أيّ تكريم هذا يا رسول الله! سقاها بداية حتى رويت تكريمًا لها لا كرم لا مثيل له ولا وصيف...

لم يشـرب عليـه الصـلاة والسـلام فقـد بـدأ بغيره، وهـذا هـو رسـول الله يا مسلمين يؤثر على نفسه رغم حاجته حتى ينالوا من بركته!

– وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا ..

مكرمة ثانية وهبة ومندوحة رفيعة سقى أصحابه بعد أمّ معبد...

حتى رووا يا رسول الله نعم يحق لنا بعد هذا كله وغيره منك أن نفتخر بك أنّنا من أتباع هذا النبي صلى الله عليه وسلم،

ألم يـدعو عليـه الصـلاة والسـلام لأمتـه؟ ففـي الحـديث: "... فَرَفَـعَ يَدَيْـهِ وقالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتي أُمَّتِي..."

الله الله كم لك علينا فضل يا رسول الله؟

– وَشَرِبَ آخِرُهُمْ حَتَّى أَرَاضُوا

أدب رفيع أن أَثِرَ على نفسه صلى الله عليه وسلم بدأ بأمّ معبد ثم رفاقه وشرب عن آخرهم....

وكرروا الشرب مرة تلو المرة حتى أراضوا واكتفوا، والروض لا يسمى روضًا إلّا ما كان فيه ماء وارتواء واكتفاء وهكذا كان رهط الرسول أراضُوا جميعا...

– ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ الثَّانِيَةَ عَلَى هَدَّةٍ حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ

غريب أن حَلَبَ مرّة ثانية صلى الله عليه وسلم الرغم من ارتواء القوم واكتفائهم من شرب اللبن ...

هذه الحلبة وصفت أنّها كانت على هدة وتمهل حتى ملأ الإناء، ملائه لأهل بيت أمّ معبد نظرا لغياب ابو معبد لينال حال حضوره بركة كرم النبي صلى الله عليه وسلم التي لا توصف فهي باقية دائمة لأهل تلك الخيمة...

لنتعلم من هذا الفعل، من أحسن إليك رد له الجميل والتكريم ولو بكلمة أو بشيء بسيط تشعره بالفرحة حتى يثني عليك بالخير فتفرحه وتدخل السرور على نفسه...هكذا علمنا حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم

وهذا ما دعت به أمّ معبد عندما جاءها زوجها من المرعى ورأى البركة،

قالت: "إلا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ".

– ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا

ها هي الزيارة قربت أن تنتهي للخيمة التي حفتها البركة وأهلها وها هو عليه الصلاة والسلام يهم بالرحيل والمغادرة نحو المدينة المنورة، وما بقي إلّا الاستعداد ولا بدّ للمسافر أن يغادر ويترك أثرًا طيبًا في نفوس مستقبليه ومودعيه ولو بابتسامة أو إشارة محبة، ويكفي بركته عليه الصلاة والسلام التي غطت المكان والزمان وأحيت المرعى والحيوان...

– ثُمَّ بَايَعَهَا

بايعها الرسول صلى الله عليه وسلم على الرسالة، التي هاجر من أجلها ...

وإلّا على ماذا سيبايعها؟

فالمبايعة لا تكون إلّا على الاتباع لدين الله، فتوادعا وافترقا على ذلك والله أعلم...

– وَارْتَحَلُوا عَنْهَا

الرحيل إيذان بالمغادرة فقامت القافلة برفقة قائدها لتكمل المسيرة نحو المدينة المنورة....

فقصة الشاة الهزيلة التي دبت فيها الحياة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتعة جدًا ومؤثرة بذات الوقت وفيها عبر وتربية وخلق وتعليم وحكمة وفائدة لك ولمن رغب بالاقتداء به عليه الصلاة والسلام،

إعجاز ربّانيّ يجريه الله على يدي الرسول عليه الصلاة والسلام، تتغير فيه هذه الشاة الهزيلة الضعيفة وتظهر بحالة ممتازة خلاف ما كانت عليه!

كل ذلك ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد دعا بالشاة بلطفه المعهود، وقد أنست له، ومن لا يأنس به صلى الله عليه وسلم من المخلوقات! ثم بلمسة حنان على ضرعها الحاف الجاف، وباسم الله وقدرته وكرامة لنبيّه دبت فيها الحياة وتحرك اللبن سائغًا من بين فرث ودم لذة للشاربين، على الرغم من جفاف ضرعها وقلّة حيلتها.

هذه البركة والتمكين من سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام هو لنا تعليم ودرس إحسان فيمن قدم لك نعمة أو خدمة حتى ولو كانت من تلك العجماوات التي سخّرها لنا ربّ العالمين.

مِنْ أيْنَ لَحِ هَذَا اللَّبَنُ يَا أمَّ مَعْبَدٍ..

كلّنا يعلم ما كانت عليه حال أمّ معبد من فقر وعوز وحاجة وفاقة في صحراء منقطعة ملتهبة الحرارة، وكان هذا المرور المبارك على غير ميعاد، وما في الخيمة إلّا أمّ معبد وحدها، وزوجها يرعى أعنزًا لهما في كبد الصحراء. وعلى حين غرّة وفي غياب أبو معبد، نزل بها ركب النّبي صلى الله عليه وسلم وصحبه:

"فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرُوهُ مِنْهَا فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ".

يظهر على حالهم الجوع وقلّة الزاد والعطش وقد نفذ من عندهم الماء والزاد، وأثّر فيهم السفر وطول المسافة، وأنهكهم التعب، إضافة لجدب الصحراء وصعوبة حالها؟

فإذًا بهذه الخيمة البسيطة في قلب الصحراء تعدُّ محطة تزويد على طريق مكة المكرمة والمدينة المنورة على الرغم من قلّة البضاعة وشدّة الحاجة.

وبعد وصول الركب المبارك وتأدية واجِب الضيافة من أمّ معبد ارتحل الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان مَقْدَمه خير وبركة على مرابعها.

"فَقَلَّ مَا لَبِثَتْ حَتَّى جَاءَهَا زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ"

أي ما لبثت أن انتهت من واجب الضيافة للرسول الكريم وأرتحل مغادرا، حتى قدم زوجها أبو معبد للتو من لبِّ صحراء شهباء قاحلة. يعني لم يلتقيا الرسول وصحبه مع أبو معبد...

وكانت مهنة ومهمّة أبو معبد الرعي "يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا"، أعنزًا عجافًا: يعني مجموعة قليلة من الماعز حالهن هزيلات لا لحم عليهن ولا شحم عبارة عن صورة وخيال دليل القحط وقلّة الطعام. فما هنّ بأحسن حال من شاة الخيمة التي ذكرت آنفًا...

حالهن " يَتَسَاوَكْنَ هُزَالًا...؟"

يتساوكن أي يتمايلن الأعنز بحركة بطيئة من الضعف والهُزال والعجز...

مُخُّهُنَّ قَلِيلٌ..." ضعف عام ظاهر من سوء وقلّة علف ومرعى..."

هذه صفات أعنز أبو معبد من الضعف والهُزال التي يرعاها فكيف بالشاة العاقبة بدون مرعى ولا علف التي حلبها صلى الله عليه وسلم؟ معجزة فقد درّت وحلبت بقدرة الله،

إذًن من حق أبي معبد حينما رأى اللبن في بيته أن يستغرب فلم يعهده أو يتوقّعه من شاة تركها في الخيمة وقد أقعدها الضعف عن المشي للمرعى، فمن باب أولى ألّا تحلب،

إذًن من أين كان هذا اللبن؟؟؟

"فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبَدٍ اللَّبَنَ أَعْجَبَهُ"

من حقه أن يعجب، من بعد تعب وجوع أضناه فلا طعام ولا شراب له سواه، مفاجأة وبشرى له ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا حال كل إنسان يفاجأ بأمر ما لم يكن يتوقعه بمثل هذا الأمر، وهو بأشد الحاجة إليه، ومنقذ حياته في أرض خالية دوية...

ولما لا يعجبه ذلك اللبن المبارك.

فقَالَ أبو معبد: "مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا اللَّبَنُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟"

تصوّر حالة إنسان يسأل هذا السؤال، لولا الحاجة الشديدة ما سأل،

سؤال موجّه منه لأمّ معبد مستغربًا فيه طالما الشاة لا تنبض بقطرة لبن ولا تذهب مرعى فمن أين هذا الخير كله!!

وهو يعرف الشَّاءُ عَازِبٌ حَائِلٌ، وَلَا حلوبَ فِي الْبَيْتِ؟

غير هذه العازب هي التي لم ينزو عليها فحل وعادة يكون اللبن على أثر الحمل والولادة والشاة عاجزة، فكيف تحلب من كانت هذه صفاتها؟! فبقيت على حالها حائل غير حامل وهذه حالها كما هو معروف لدى أهل البادية...

فقالت أمّ معبد: وأنا أشدُّ منك استغرابًا وأعرف شاتي لا ولد لها وعازب حائل ولا يوجد غيرها في الخيمة وما هو الذي تتصوره أو تتوقعه من تلك الشاة العاجز..

فالسر ما قالت ورأت أمّ معبد....

قالت:

"لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا"...

انكشف السر لأبي معبد فماذا عساه يقول إذن؟، أو ماذا تتوقع أن يسأل...؟

وهل سؤاله وحديثه مع أمّ معبد بعد أن ذاق وشرب من بركة اللبن فأعجبه لذة الطعم والسقيا فارتوى كغيره؟

والآن يأتي جوابه وطلبه أن يعرف أوصاف هذا الرجل المبارك صاحب معجزة اللبن ...

فهل يعرفه أو لا يعرفه مطلقًا إن وصف له ننظر؟

سأل أمّ معبد "قَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ".

لنتركهما معًا ونذهب...

ولنتذكر في برهة قصيرة أنّ الشاة قد اجْتَرَّتْ وأرْبَعَت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم من غير ربيع، وتَفَاجَّتْ بين رجليها، وَدَرَّتْ ضرعًا مملوءًا بالحليب، "فَدَعَا صلى الله عليه وسلم بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطُ فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا حَتَّى عَلَاهُ الْبَهَاءُ..."

إذًن خيرات حسان طيبات متتاليات، فالشويهات هن هن ما جرى عليهن في حالهن المعهودة شيئًا سوى البركة، وبسبب مرور هذا الرجل المبارك تلك الديار... وليس أي رجل آخر...

قالت أمّ معبد: إنّما رجل مبارك ترافقه البركة والتكريم من خلال متابعتي ومشاهدتي لما حصل على يديه...

وهو دليل العناية الرّبّانيّة لصاحب الهجرة النّبويّة الذي تحفّه الرّعاية الرّبّانيّة {إلّا تنصروه فقد نصره الله...}.

من خلال هذه الأخبار والأفعال المرئية والمسموعة، كانت آثار النعمة ماثلة لأبي معبد وكله أُذُن صاغيه بلهفة وشوق أن يرى صاحب تلك البركات أو على القليل يعرف بعض من صفاته... فسارع بطلبه متشوقا؟

فقَالَ: "صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ"...

وسنلتقي مع أمّ معبد وأدب الوصف لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم

وهذه فائدة لنا ولغيرنا في معرفة صفاته وشمائله وبركاته وحركاته صلى الله عليه وسلم وطيبة أخلاقه الحميدة

وقد جاءت أمّ معبد بوصف وضعت فيه كافة نقوش أدب الوصف الذي يعجز عنه أهل البيان...

وإن كنت أيّها الكريم بشوق انتظر مع أمّ معبد تحدثك عن تلك الأوصاف والصفات العذبة

أدب الوَصْف في نهج أمّ معبد..

بناءً على طلب أبو معبد وبما عهده من بلاغة زوجته...

قال: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ...

فجاءت بأدب الوصف على نهج فطرتها وسليقتها البدوية وفق لغتها العربية الأصيلة، وأدب الوصف فنّ من فنون الاتصال الأدبي، ويُستخدم في تصوير المشاهد وتقديم الشخصيات الكريمة،

وهو أسلوب فني أدبي يدل على قدرة الواصف على تجسيد صفات الموصوف وتقييمه وتقديمه بأسلوب ودقة دقيقة متناهية للسامع أو القارئ فكأنّك تشاهده وتتابع أوصافه بشوق ولهفة لمعرفة التفاصيل بصدق دون مداهنة.

فها هو أبو معبد يعود إلى خيمته كعادته مع قطيعه الموصوف المعروف آنفًا...

فبدأت أمّ معبد بعفوية دون تكلّف فيما رأت من الصفات النّبويّة الموهوبة لرسول البشريّة صلى الله عليه وسلم وقد أجادت في توصيف أدق التفاصيل وحشدت من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أجملها، ومن

العبارات أقصرها، ومن الإيجاز أمتعه، ونطقت بأعذب الكلام مما يعجز عن الإتيان به أرباب البيان حقيقة لا خيال...

ويأتيك في آخر الزمان من يقول لك إياك ثم إياك مدح وذكر صفات رسولك الكريم بمثل ما وصفته به أمّ معبد فقد وصفت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ومعالمه وملامحه وشمائله بأدق الأوصاف، وصفًا محببًا للنفوس خاصة لمن تعلق قلبه بالحبيب محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنقذ البشرية كاملة...

وقد أجادت أمّ معبد بالوصف والتوصيف وأرى أنّ المرأة أجدر وأقدر على هذا من الرجل وأدق لنبدأ مع أم معبد ونجلس معها ونسمع تلك الأوصاف:

فقالت: "رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ..."

الكلام موجّه للبشرية جمعاء من خلال طلب أبي معبد للأوصاف المحمديّة،

والإجابة: قالت: رأيت رجلًا في منتهى الرجولة والحُسْن والنَّظَافَة والبَهجَة والرّتابة، هذه هي الوضاءة والإنارة التي تشع من أنوار وجهه صلى الله عليه وسلم. لا من أحد غيره...

"أَبْلَجَ الْوَجْهِ..."

كالبدر الساطع المشرق فالوجه عادة ما يوجّه به الإنسان غيره، فإن كان حسنًا كما هي صفات وجهه صلى الله عليه وسلم مشرقا كالبدر المطل بنوره على الكون، ومُسْفِر ظاهر الجمال لا يضاهيه أحد من المخلوقات.

"حَسَنَ الْخَلْقِ..."

عليك صلاة ربّي يا رسول الله، صفاتك وتقاسيم جسدك من أحسن ما خلق الله من خلقه!

وأَحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني ** وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ
خلقتَ مبرأً منْ كلّ عيبٍ ** كأنكَ قدْ خلقتَ كما تشاءُ

ثم عادت وقالت: "لَمْ تَعِبْهُ ثَجْلَةٌ..."

مظهره صلى الله عليه وسلم متناسق متماسك، لم يكن ثجلة كظهور عِظَمُ الْبَطْنِ، وانْتِفَاخُهَ، وَضَخَامَتُهَ، مع نزوله للأسفل بمعنى مترهل الجسم، ما هكذا كان عليه الصلاة والسلام بحيث تأنفه النفوس وتعيبه... وإنما كان رشيقا متناسق الطول ...

"وَلَمْ تُزْرِبِهِ..."

تُزريه أي لا يوجد جانب من هيئته ينتقص من شكله وقوامه، وإنما صلى الله عليه وسلم كامل الأوصاف وما عابه أو عاتَبه أحد في شكله؛ لأنّه لا نقص في خلقته حتى يعيبه.

"صَعْلَةٌ..."

الصعلة صغر الرأس ويلازمه بالطبع صغر حجم الدماغ، لم يكن صلى الله عليه وسلم صغير حجم الرأس حتى يعاب ويستهزأ به في صغر حجم رأسه، ولا كبير حجم الرأس وإنما جاء راسه وفق حجم جسمه لا صغير ولا كبير معيب له...

"وَسِيمٌ..."

الوسامة علامة دالة عليه دون غيره، الوسامة منه صلى الله عليه وسلم حَسَنُ الطَّلْعَةِ والهيبة والهيئة وهذا من دلائل حسن شكله صلى الله عليه وسلم أنّه وَضِيء ثابتُ حُسْن الوسامة الباقية على الدوام، كأَنّه قَدْ وُسِمَ خلقه على ذلك من الجمال والبهاء الذي لا يشاركه فيه أحد، ولا يفارقه له وحده فقط هذه الوسامة...

"قَسِيمٌ..."

قسيم غير كلمة وسيم، قسيم كَأَنَّ كلَّ مَوْضِعٍ مِنْهُ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ قِسْمًا مِنَ الْجَمال والرونق فهو جميلٌ كلُّه زيادة في الْحُسْنُ والكمال، فالتقى الجمال مع الجمال فكان قسيما وسيما صلى الله عليه وسلم

"فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ..."

الدعج هو شِدَّة سَوَادِ الْعَيْنِ مع اتّساعها، وشِدَّةُ بَيَاضِها، كم هو جميل سواد العين واتساعها مع شدة بياضها وهذا منتهى الجمال يسمى حَوَر وهي ميزة خاصة في جمال سعة واتساع العيون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذات... قالت أم معبد" في عينيه دعج" وهذا لا يكون في كل أنسان من ملاحظتها إلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم

"وَفِي أَشْفَارِهِ..."

الأشفار مَنْبَتُ شَعَرِ الْأَجْفَانِ وطولها مع استرخائهما وجمالهما عند التقائهما في التغميض والانفتاح. فشَفْرُ الجَفْن حرفُهُ الذي ينبتُ عليه الهُدْبُ. دقّة في وصف عيونه صلى الله عليه وسلم فاقت الحسن في منبت شعر الأجفان طولًا بداية ونهاية...

كم كانت أمّ معبد صاحبة ملاحظة ودقة! امرأة حقًا أعلم من يكون في معرفة هذه الأشياء فهي أمٌّ تعرف صفات الأجفان وجمالها في أغلاقها وانفتاحها ...

"وَطَفٌ..."

الوطف هُوَ أَنْ يَطُول شعرُ الأجْفان ثُمَّ يَنْعَطِف ويكون للأعلى فيزيد في جمال عيونه صلى الله عليه وسلم، ما هذه الدقة يا أمّ معبد تصوير دقيق وأدب في الوصف وليس تغزلًا محرّمًا...

"وَفِي صَوْتِهِ صحل..."

كيف سمعت وميزت أمّ معبد صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمّلت فيه ثمّ وصفته لنا بهذا الوصف "صَحِلَ" أي صوته فيه بُحَّة محببة ممزوجة بعذوبة حسنة وهذه نادرة في الأصوات وهي من أصل خِلْقَته، فلا تَصَنُّع فيها ولا مرض ولا غلظة ولا خشونة، هذه الرّقة والعذوبة هي ما جلبت انتباه أمّ معبد حتى عند سماع صوته المميز عليه الصلاة والسلام...

وهذا يعتمد على دقّة تمييز سماع الصوت الموصوف لمن يعرف الصحل وهم قليل؟!

"فِي عُنُقه سَطَعٌ..." تشبيه في منتهى البلاغة؛ رأت عنقًا طويلًا ساطعًا كالنّور فبدأت أمّ معبد في وصف ملامحه صلى الله عليه وسلم العامة، ثمّ بدأت تفصّلها تفصيلًا مشوقًا محببًا للنفس،

الآن جاءت تصف عنقه عليه الصلاة والسلام فعنقه سطع يحمل رأسًا ووجهًا مشرقًا وضاء،

فطول العنق مع الإشراق دليل الجمال فكأنّه النور الساطع ما بين الكتفين.

"وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ..."

هكذا كانت لحيته صلى الله عليه وسلم من الجمال والاهتمام والخلقة.

يقال في اللغة: كَثَّ الشَّعْرُ: اجتمع وكثُر في غير طول ولا رِقَّة ولا خفة ولا دقّة اكتمال رباني ...

حتى اللحية لها جمال وعلامة وصفة من صفاته صلى الله عليه وسلم.

"أَحور..."

يقال في اللغة: وَلَدٌ أَحْوَر اشْتَدَّ بَيَاضُ بَيَاضِ عَيْنَيْهِ مَعَ سَوَادِ سَوَادِهِمَا،

وصف بياض العيون وسوادها زاد في جماله صلى الله عليه وسلم،

ووصف عيونه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة يأخذ بالألباب...

فما زالت أمّ معبد تؤكّد على نعت جمال عيون الرسول عليه الصلاة والسلام

وتعيد مرّة أخرى فهما موضع النظر والإشراق والتأمل.

"أكحل..."

الكحل هو اللون الأسود يوضع على الأجفان لكي يظهر جمال العين ويزيدها جمالا،

فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كحلت أَجفانُ عينيه خِلقةً ربّانيّة بكحل طبيعي من دون كحل،

فكَانَ أَكْحَلَ العَيْنين.

فقل سبحان الخالق الذي بَـرَّأَهُ من كل نقص وصوَّره فسوَّاه على هذه الصفة الجميلة.

"أزج..."

أزج أي له صلى الله عليه وسلم أجفان غزيرا الشعر طال طرفاهما وامتدا إلى مؤخر العين مع تقوس بديع فيهما

"أَقْرَنُ..."

مَقْرُون الحاجبَيْن، مع أنّه قد وصف حاجبيه صلى الله عليه وسلم أنّهما أبلج أي مفترق الحاجبين؛ بناءً على حديث السيدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها: قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم "أزج الحاجبين، سابغهما من غير قرن بينهما، وكان أبلج ما بين الحاجبين".

ومن الممكن الجمع بين ما ورد في وصف أمّ معبد والحديث بأنّه صلى الله عليه وسلم لم يكن بالأقرن حقيقة، ولا بالأبلج حقيقة، بل كان بين حاجبيه فرجة يسيرة، لا يتبيّنها الرّائي إلّا إذا دقّق النظر فيها فهي خفيفة، فالقرن المذكور في وصف أم معبد، كان يُرَى أثناء سفره من أثر الغبار.

فمن وصفه بأنه أقرن وصفه على حالته التي رآه عليها في السفر كوصف أم معبد،

وفي غير السفر يرى على حاله ومنظره فلا تناقض بين القولين والله أعلم.

"شديد سواد الشعر..." الشعر جمال للإنسان وزينة، وهو أجمل ما يكون فيه صلى الله عليه وسلم، ودليل مظهر من مظاهر الشباب والرجولة والفتوة. قال أنس رضي الله عنه:

إنّه لم يرَ من الشيب إلّا نحو سبعة عشر أو عشرين شعرة في مقدم لحيته} أخرجه ابن ماجه في سننه.

وقد أمَرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مَن كان له شَعرٌ أنْ يُكْرِمَه ويُهذِّبَه.

"إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ...".

حتى حال صمته وسكوته صلى الله عليه وسلم عليه هيبة الوَقَار والرَّزانَة والحِلْم، وهي سمة وهدي الصَّالحين، فَكَلَامُهُ كُلُّهُ ذِكْرٌ، وَسُكُوتُهُ جَمِيعُهُ فِكْرٌ، وَحَالُهُ دَائِرٌ بَيْنَ صَبْرٍ، وَشُكْرٍ فِي كُلِّ حُلْوٍ وَمُرٍّ...

"وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ..."

في الصمت يعلوه الوقار وفي الكلام يعلوه البهاء والسّمو والرّفعة والأنس واللطف والرقة والارْتِفاعُ والعُلُوُّ، كل هذا في صفاته الخُلقية والخَلقية.

فمن عرفه أَحبَّ قُرْبَه صلى الله عليه وسلم على حسن عذوبة كلامه.

"أَجْمَلُ النَّاسِ..."

مختصر مفيد هذا ما وصلت إليه أمّ معبد من نتيجة أنّ الجمال صفة الحُسْن له في الشكل والخُلق صلى الله عليه وسلم، مما يَبْعث على راحة

النَّفْس وشعور الإعجاب والارتياح والسُّرور والرِّضى به صلى الله عليه وسلم قالت أجمل الناس وكفى..

"وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ..."

البهاء هو إشراقة القدوم ففي إقباله يسبقه النور، فتأنس بنور قدومه وهيبته دون رهبة منه ولا خوف.

"وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ..."

الذي يراه عن قرب يرى الحسن والجمال كاملين فيه، فلا يمل من رؤية حسن جماله وصفاته فقد اقترب من صفاته وعشق حياته صلى الله عليه وسلم وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ما زالت القلوب تعشقه وتهواه.

"حُلْوُ الْمَنْطِقِ"

حلاوة منطق الرسول صلى الله عليه وسلم في نطق الكلمات وحسن حديثه وتعبيره وتعليمه، لا تلعثم ولا تأتأة. فهو يأسر القلوب بكلامه الطيب. فالنطق السليم هو التكلّم بصوت واضح وحروف بينة تُعرف بها جزالة الألفاظ وحسن المعاني، وهكذا كان صلى الله عليه وسلم إذا تكلّم أفهم.

"فَصْلًا..."

كلامه إن تكلّم صلى الله عليه وسلم بيّن واضح لا لبس فيه، وفصل قاطع لا تعقيب عليه ولا استدراك ولا تأويل له فهو من القلب إلى القلب، وهذا هو سبب التأثير الذي يصحب كلامه وبيانه...

"لَا نَزْرٌ..."

رَجُلٌ نَزُورٌ قَلِيلُ الكَلاَمِ إلّا وقت الحاجة والبيان هكذا كان صلى الله عليه وسلم، كيف لا وهو مشرع وموضح ما أنزل عليه من القرآن الكريم،

وعن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدّث حديثًا لو عدّه العاد لأحصاه.

وقالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم. رواه البخاري ومسلم.

"وَلَا هَذْرٌ..." والهذر مَنْ يُكْثِرُ فِي كَلاَمِهِ مِنَ الْخَطَأِ وَالْبَاطِلِ والسّفه،

فكان صلى الله عليه وسلم لا يتكلّم الكلام الذي لا فائدة منه التافه السقط الذي لا يعبأ به أحد، فكلامه موزون معلوم إمّا جوابًا لسائل أو بيانًا لواقعٍ أو حادثة أو مسألة، ولا يتكلّم فيما لا يعنيه...

"كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ..."

وصف دقيق وملاحظة أدق في متابعة أمّ معبد لنطق كلماته صلى الله عليه وسلم فهي كلمات معدودة كالخرزات المنظومة المرتبة المتتابعة لا تسقط منها واحدة، دلالة على سعة فكره وعلمه وحديثه وتنسيق كلامه وترتيبه وجمال عرضه بعون الله... وهذه مقارنة ومقاربه لكي يعرف السّامع أدب الوصف الذي تحلّى به صلى الله عليه وسلم.

"رَبْعَةٌ..."

فعلًا جواب حقيقي لأبي معبد وغيره، فالربعة هو المَرْبوع الخَلْقِ؛ وسيط القامة ومعتدلها لا بالطويل ولا بالقصير الذي يجلب الانتباه،

الحديث: "... ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير..." هكذا كان صلى الله عليه وسلم معتدل الطول والجسم.

"لَا تَشْنَؤُهُ مِنْ طُولٍ..."

لا تعيبه عين ولا نظر ولا تبغضه لفرط طول ولا قصر، فهو بين بين معتدل الطول ربعة وسيط القَامَة، عليه الصلاة والسلام.

"وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ..."

إطالة أمّ معبد في توصيف طوله حتى تعطيه الوصف الذي يليق به صلى الله عليه وسلم

وعرفت أنه في رعاية الله وحفظه فلا تَعَرَّضَ له عَيْنٌ بالحَسَدِ فهو ليس بالقصير ولا الطويل الذي تعيبه العيون الناظرة إليه. فهو حسن في قامته وهيئته لا مأخذ عليه في ذلك من أحد من البشر.

"غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا..."

وصف بديع كيف يكون الغصن بين الغصنين وهو من جنسهما إلّا أنّه متميز عنها بالنضارة والهيبة والقدر وحسن المنظر، لذا قيل محمد بشر وليس كالبشر بل هو ياقوتة والناس كالحجر.

"لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ إِنْ قَالَ سَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ..."

هذه إشارة دقيقة وحرص وحذر وخوف عليه أن يلحقه أذى أيًّا كان ذلك، رفاقه يحيطون به صلى الله عليه وسلم في رحلته الميمونة: أبو بكر رضي الله عنه، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، ودليلهم الليثي عبد الله بن أريقط، كلهم حريصون عليه كل الحرص وعيونهم ترمق وترقب كل حركة أو إشارة نحوه، حراسة مشددة، وإحاطة به من كل الجوانب؛ فهو ليس إنسانًا عاديًا ولا زعيمًا دنيويًّا ولا قائدًا عسكريًّا لا بل هو أمة ورسالة مهاجر لأجلها، فلا مقارنة بينه وبين غيره من الخلق.

والدليل أنّ الحسنِ البصري ذكر في سيرة ابن هشام قال: انتهى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخَل أبو بكر رضي الله عنه قبلَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فلَمَس الغار لينظرَ: أفيه سَبُعٌ أو حيَّة، يقي رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بنفسِه؛ ورسول الله أميرهم يأتمرون بأمره وطاعته ويسمعون قوله ويتبادرون لخدمته.

"مَحْفُودٌ..."

محفود أي معظّم مكرّم والكل يحب ويرغب ويسابق وينافس الآخر بتقديم الخدمة وتلبية طلبه ورضاه عنه صلى الله عليه وسلم؛ إجلالًا وتوقيرًا واحترامًا خاصة رفاقه بالذات؛ حتى عبد الله بن أريقط على الرغم من شركه تفانى في خدمته، وترك جائزة المشركين التي وضعت لمن يدل على مسيره واتجاهه، فآثر مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم تسخيرًا وتجنيدًا من الله له في خدمة الرسالة.

"مَحْشُودٌ..."

عندما ترى حشد عظيم حول شخص فاعلم أنّه مهم وذو قيمة وحشمة، والحشد حوله دليل الحفاوة والتكريم والتبجيل وهكذا كان صلى الله عليه وسلم كل من يسمع به أو يحضر مجلسه أو ذكره حتى بعد مماته يبادر بإكرامه بالصلاة والسلام عليه بكل أدب، فتجد المسلمون كل قلوبهم

مجتمعة تلتقي على محبته صلى الله عليه وسلم، فلا تسمع من مسلم إلّا يقول: بأبي وأمي ونفسي أفديك يا رسول! أي محبة هذه للرسول جعلها الله وأسبغها للمسلمين بالذات!!!

ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: "كُنَّا مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقالَ له عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شيءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لَا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ، فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: الآنَ يا عُمَرُ".

"لَا عَابِسٌ..."

يا سلام ما أحلى صفة البشاشة تعلوها الابتسامة فهي علامة واضحة على صفاء السريرة منه صلى الله عليه وسلم، ليس من صفته العبوس وإنّما مبتسم غير مكفهر الوجه ولا مقطب الجبين.

ففي سنن الترمذي قال جرير بن عبد الله:

ما حَجبَني رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ منذُ أسلمتُ، ولا رآني إلَّا تبسَّمَ"

لذا دائمًا كان وجهه صلى الله عليه وسلم مشرقًا بالابتسامة والنور وهذه من أدق الشيم التي عرفت عنه والصفات التي لاحظتها أمّ معبد...

"وَلَا مُفَنَّدٌ..."

من ملاحظات أمّ معبد أنّها رأت رجلًا رشيدا حميدا فيه كل صفات الرجولة، ليس كبيرًا في السن ولا طاعن فيه ولا خرف لا يعتد برأيه فرأيه سديد، ولا ضعيف في بنيته، وصفت ذلك من خلال مشاهدتها له ومجالستها معه...

فعادة كبر السن يصيب صاحبه بالخرف والنسيان فينسى وتذهب الفكرة منه ولا يتذكرها...

على خلاف صفاته صلى الله عليه وسلم فقد كان حاضر البديهة والفكرة.

وهذا هو جواب سؤال أبي معبد لزوجته وقد وصفته ...

قال: هو والله صاحب قريش...يقصد النبي صلى الله عليه وسلم

الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلنَّ إن وجدت إلى ذلك سبيلًا.

يا ترى كم من الوقت احتاجت أمّ معبد حتى نعتت ووصفت ونحتت وغاصت في كنوز اللغة العربية الصافية حتى التقطت جمال الألفاظ والمعاني وأسبغتها صبغة وحلل على تلك الصفات لإنسان مرّ بها سويعات قليلة في دقة لا يقدر عليها إنسان وحتى مجموعة من البشر،

وحتى لو قلت لماذا أفاضت أمّ معبد كل هذه الإفاضة وأجادت في رسم شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم قلت درس لنا وتربية لكلِّ من أحبَّ محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته وشمائله من خلال مطالعتي ومسموعات لم أجد أجود وأفصح بيان في الرسول صلى الله عليه وسلم سوى ما أشارت له أمّ معبد...

كلمة حَقَّ لأُمّ مَعْبَد..

حقًا وصدقًا وعدلًا أنّ أمّ معبد قد دخلت باب الهجرة من أوسع أبوابها دون سابق تخطيط منها وإنّما توفيق من الله، فكتب لها في ذلك أجر وثواب وكان لها شرف السبق في استقبالها للرسول صلى الله عليه وسلم في خيمتها المتواضعة، وحتى شاتها العَجْفاءُ كان لها دور في سقيا الحبيب وصحبه الكرام رغم هَزَالَها وأَضْعَفَها فقد درَّت وحلبت ببركة دعاء الرسول الكريم ومسحه على ضرعها.

وقد أكرم صلى الله عليه وسلم أمّ معبد فشربت هي بداية ثم صحبه أدبًا منه وكرامة ثمّ شرب عليه الصلاة والسلام في النهاية، هذه هي أخلاق النبوة تعليم وترتيب، ثمّ ملأ لأهل بيت أمّ معبد وزوجها ألذ وأطيب سقيًا وشرابًا وشفاءً...

درس لنا في التربية والإيثار وحسن الصحبة وتطييب الخواطر، وبهذا سطّر لها الرسول صلى الله عليه وسلم بأحرف من نور سجلًا في تاريخ الإسلام ببركة ذلك المرور وحسن الضيافة...

وبقيت كلمات أمّ معبد يتردد صداها في وصف شمائل وصفات النبي محمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وما تلاه...

إذًا لا بدّ من تسليط الأضواء على حياة هذه المرأة أمّ معبد فمن تكون هي: "عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم الخزاعية" وتعدُّ من الصحابيات، وهي مشهورة في السيرة بكنيتها "أم معبد"، وقد كتب لها أن تستضيف النبي صلى الله عليه وسلم في خيمتها المتواضعة المباركة، دون علمها من هو؟ إلّا أنّ إحساسها أن رجل مبارك، ومن هنا اكتنزت ملامحه عليه الصلاة والسلام ذاكرتها حتى اخرجتها دررًا من الوصف والبستها صيغة البيان...

وقد ورد أنّ مكونات شخصيتها المعروفة:

– أنّها امْرَأَةٌ بَرْزَة...

والبُرُوز؛ هُوَ الظُّهور والخروج والمخالطة للوافدين على خيمتها، كيف لا وهي تعيش في لب الصحراء اكتسبت منها معاني كثيرة.

– إِذَا كَانَتْ كهْلة لَا تَحْتَجب احْتِجاب الشَّوابِّ...

كان هذا الظهور بسبب أنّها امرأة تجاوزت سنّ الشباب نحو الشيخوخة وذات تجربة، وليست شابه مغرورة لم تعركها الحياة تخاف على شبابها من طمع طامع ...

– وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ عَفِيفَةٌ عَاقِلَةٌ...

مع بروزها وعدم احتجابها وكهالتها كانت عفيفة عاقلة غير مبتذلة وبلا سفاه، يا سلام على عفاف النساء يعلوه تاج الحياء مظهر جميل رزين.

– تَجْلس لِلنَّاسِ وتُحدِّثهم...

كيف لا وهي تستقبل ضيوفها وتحدّثهم وتجالسهم وكل من دخل خيمتها وطرقها عليها لحاجة طعام وشراب أو مأوى، فترد بكل حشمة وأدب ليس إلا.

فهي كهلة وليست شابة مارست الحياة ولم تعد تحتجب عن الرجال ولم يعد فيها مطمع أو مطمح بعد هذه السنّ، قال الله تعالى: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (النور: 60)، وهي كانت كذلك مستترة بعفة وعقلانية...

ومن أدبها وعلى الرغم من كهولتها ومن حسن مظاهر شخصيتها:

– أنها جَلْدَةً...

والجلد المصابرة والمثابرة والقوة والشكيمة فالصحراء لها ظروفها الخاصة بها التي لا تتماشى معها النعومة المعهودة في طبيعة بعض النساء فهي قد كيّفتها الظُّروف القاسية على المصابرة.

– تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الْقُبَّةِ...

الاحتباء هو الجلوس في ساحة خيمتِها أو ضِمنها، وجلسة الاحتباء هي أن يجلس الشخص على أَلْيَتَيْه ويضمّ فخِذَيْه وساقَيه إلى بطنه بذراعيه لِيسْتَنِدَ إلى ظهره ولا يتكئ على وسَادَة وما شابه ذلك، فمن المعيب ذلك أن يستند لغيره أو يتكئ، وهكذا كانت جلسة أمّ معبد محترمة في ستر وحفظ وفي حالة تأهّب للقيام والاستقبال من جلستها المتحفزة...

– ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ...

هذه مهمتها في هذا المكان سقاية الماء وإطعام الطعام لكلّ من مرّ بها من الكرام فهي ضيافة مميزة في هذا المكان...

وقد اتضح من مرور الرسول بها وصحبه الكرام:

"فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ..."

ومن خلال كلماتها في الرسول يظهر أنّها امرأة ذات لغة فصيحة وسليمة وتجربة ومخزون أدبي لغوي بلاغي بياني تصوري يعجز عن الإتيان بمثله في هذا الزمان،

وهذا دليل إعجاز نزول القرآن الكريم على هذه الأمة بخاتم الرسالة النبوية.

حتى لم أجد أحدًا جاد بقريحته ووصَف الرسول بمثلها بهذه القوة اللفظية والوصف البديع!

مع أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم إلّا سويعات معدودة في خيمتها فلو كانت آلة تصوير أوتوماتيكية ما استطاعت بهذه الفترة الزمنية الوجيزة أن تأتي بهذا التصوير الفوتوغرافي المشاهد بكل عزيمة وتصميم ونعت بهذا الوصف الخالد، إلّا بموهبة أتاها الله لها حتى يكتب لها في ذلك الأجر مع مرور الزمن والأجيال...

إذن هي تمتلك ذهنيّة قويّة ومميّزة منفردة ومتمكّنة في معرفة جوانب الشخصيّة البشريّة التي يجب أن توصف، وقدرة الحُكم عليها، وأدب تصديرها وتصويرها...

يعني في هذه الأوصاف النّبويّة التي تطرّقت لها أمّ معبد في قليل من الوقت يحتاج إلى مدد طويلة ورسائل علميّة متخصّصة في جوانب شتّى دينيّة واجتماعيّة وثقافيّة وسلوكيّة ونفسيّة وتربويّة ووصفيّة وسنّ معين وتجربة وخبرة ودقة وحكمة فهي تملك ناصية اللغة العربية وألفاظها ومعانيها ودلالاتها وإشاراتها حتى صاغت هذا الوصف بهذه الطريقة، ولا يسعك إلّا أن تقول إنّها موهبة وفطرة وتوفيق...

من خلال وصف أمّ معبد للرسول الكريم محمد صلى الله وسلم تجد أنّ كل الأدباء والشعراء والحكماء والعلماء وأصحاب البيان مع الاحترام لقدرهم وعلمهم، لم تترك لهم أمّ معبد ما يصفونه في الحبيب عليه الصلاة والسلام ولو طلب من أحد ترتيب كلام ككلام أمّ معبد الذي قالته آنفًا وما فيه من إيجاز وموهبة وإلهام لما استطاع أن يأتي به أحد إلا بعون الله وإرادته وقدرته مع أنّ وصفها لم يكن خارجًا عن المألوف وإنّما بما هو معروف عنه ومنه صلى الله عليه وسلم ولم يخرج عن نظم الشرع الشريف.

إلّا أنّ كلامها كان من القلب إلى القلب وهذا الذي خلد صياغته المحكمة بالعقل الرصين والتفكير البصير بما يوافق كل جزئية منه صلى الله عليه وسلم بوصف حقيقي ليس من ضرب الخيال أو الإطراء غير المباح، ولا يخالطه أي تزلف ولا نفاق ولا رياء...

فكلنا نقف مع الوصف آذانٌ صاغية، وقلوب واعية لهذه العبارات والكلمات التي يحتاج تفسيرها وتجليتها لمعانيها وقتًا طويلًا للبيان، والتي تصلح أن تكون كل كلمة عنوانًا مستقلًا فهي شمائل أحسن وأفضل إنسان..

كلمـات منتقـاة مثـل: "قسـيم وسـيم"، "أجمـل النـاس"، "حلـو المنطـق"، "محفود"، كل تلك الصفات والأوصاف لقاء سويعات قليلات الله عليك يا أمّ معبد، فقد أتت بنُعُوت الْخَيْر كلها...

كلمـات جـاءت بهـا مختـارات مـن أعمـاق معجـم الـدرر وأغلـى مـن كـل نفيس، حبكتها ونظمتها كحبات اللُّؤْلُؤِ –كقولها خَرَزَاتُ نَظْمٍ–، ترتيب محكم كخرزات المسبحة كلها وحدة واحدة...

جاءت بكلمات في وصف الحبيب من يسمعها أو ينصت قلبه لها يطيب ويبادر بالصلاة والسلام على الصادق الوعد الأمين محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنّها لا تليق إلّا به وله فقط لا لغيره.

فقد أجادت أمّ معبد بأرقى وأفضل العبارات المختارات ومَا وَفَّتْهُ حَقَّهُ عَلَيْهَا صلى الله عليه وسلم لما رأت في عينيها من شمائله وصفاته وأخلاقه صلى الله عليه وسلم شيئًا كثيرًا لا تحيط به الكلمات ولا تأتي به المعاني.

كلهـا صـفات دلائـل طهـر وعفـة وعفويـة دون تكلـف ولا سـخرية ولا اسـتهزاء ولا تهكـم ولا ازدراء ولا تَفَاهَـةٌ ولا تشـرذم، إنّهـا شـهادة شـاهد عيـان مـن أهـل الفصـاحة والبيـان، وكلماتهـا تصـلح ردًا وتحقيـرًا وتشـهيرًا لأصـحاب الرسـومات التافهـة، والأقـوال الفاسـدة، والتصـريحات العفنـة

كأصحابها، فلا يقف أحد أمام النور إلّا من يستحق هدايته، والبقية يبهرهم نوره فيعيشون في الظلمات وتحت الركام...

فقد خاطبت أمّ معبد القلوب والعقول والعواطف والأحاسيس والمشاعر وأصحاب البصر والبصرية من خلال صفاته صلى الله عليه وسلم، وقالت للمتخاذلين خفافيش الظلام:

قالت لهم بملء فيها: تبًا لكم على كتاباتكم المسمومة، وأفكاركم المحمومة، ورسوماتكم المذمومة، واعتذاراتكم المردودة، وحركاتكم وتصرفاتكم الموهومة؛ فهي خيالات عقولكم وتفاهات كلامكم وخطايا ألسنتكم وخرافات عقولكم البالية وترهاتكم المضللة وضلالاتكم المكذوبة المزعومة،

خسئتم أنتم بالذات حتى الممات ومن يساندكم أو يشد على أيديكم أو يشجعكم أو يحرضكم ضد نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام.

قالت: أيّها الرسول الكريم يكفيك شرفًا وعلوًا ومقامًا محمودًا ومنزلةً رفيعةً عند الله...

وقد كفل الله لك ذلك وضمن (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)

فهي كفاية كافية وافية شافية من الله لرسوله والذي أثنى عليه القرآن زيادة على ذلك كله:

{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}

الآن العالم كلّه يلهج بذكره صلى الله عليه وسلم، حتى عرفه من لا يعرف،

فقالوا: من هذا الذي ذاع صيته وحرك العالم بأجمعه؟ إنّه محمد صلى الله عليه وسلم.

قال ابْنِ عَبَّاسٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: مَا خَلَقَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَلا ذَرَأَ وَلا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلّا بِحَيَاتِهِ صلى الله عليه وسلم بالذات.

قَالَ الله تعالى: {...لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ...}

فعلًا هم سكارى ونكرة، فقد خاب وخسر من بارز الله في علاه من هؤلاء المستهزئين بحق سيد المرسلين عليه صلوات ربّي العلي العظيم وَالسَّلَامُ عليك يا رسول الله يَوْمَ وُلِدتَ في مكّة المكرّمة وبشّر بك الكون وأشرق، وكانت هجرتك إلى المدينة المنوّرة بداية تاريخ للأمّة الإسلاميّة أنور ...

والسلام عليك يا رسول يوم هاجرت من بلدك الحرام إلى مكان إقامتك حيًّا في أشرف البقاع في المدينة المنورة...

ولا ندعو لك إلّا بهذا الدعاء القرآني الكريم "...عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا...}.

مولـد الربيع النبوي..

أن يأتي الربيع في موعده وأزهاره وورود في الثاني عشر من ربيع الأول في كـل عـام يحمـل وينشـر عطـره في جنبـات الكـون، وتسـبح الكائنـات والمخلوقـات وجميـع مـا خلـق الله في آلائهـا وكونهـا وأجرامهـا والسـماء وأبراجها والأرض وسهولها ومروجها وأوديتها كلها تردد:

{...مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ...}

"... وَسُئِلَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن صَوْمِ يَومِ الاثْنَيْنِ؟

قالَ: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ ..." [1]

شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم...

هذه أعظم وأرفع وأجل منزلة أن يوصف بها رسولنا الكريم مقرونًا باسم ربّ العالمين. رفع له بذكره معه في الشهادتين ذكرًا، ينادى بها صباحًا مساءً من أعالي بيوت الله إلى يوم الدين...

---

[1] صحيح مسلم.

مولد الربيع نور على نور، لا يزيغ عن هديه إلا ضال، وجعل الصلاة عليه بالأجر الكثير الوفير!

الحديث: "... صَلاتَكُمْ معْرُوضَةٌ علَيَّ،

فقالوا: يَا رسول اللَّه، وكَيْفَ تُعرضُ صلاتُنَا عليْكَ وقدْ أَرَمْتَ؟

يقولُ: بَلِيتَ،

قالَ: إنَّ اللَّه حَرم عَلَى الأَرْضِ أجْساد الأَنْبِياءِ" رواهُ أَبُو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

فتعرض صلاة المصلين عليه في مرقده الكريم من العالمين كافة بالدعاء والتيمن والبركة...

وقد حثَّنا ربّنا جلَّ جلاله بديمومة الصلاة على رسوله الكريم وصلاة ملائكته عليه وصلاة عباده المؤمنين،

قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[1].

[1] الأحزاب 56.

الحديث:"... أَتَانَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ونَحْنُ في مَجْلِسِ سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ،

فَقالَ له بَشِيرُ بنُ سَعْدٍ: أمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يا رَسولَ اللهِ، فَكيفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟

قالَ: فَسَكَتَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، حتَّى تَمَنَّيْنَا أنَّه لَمْ يَسْأَلْهُ،

ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ:

قُولوا اللَّهُمَّ صَلِّ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ علَى آلِ إبْرَاهِيمَ وبَارِكْ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ كما بَارَكْتَ علَى آلِ إبْرَاهِيمَ في العَالَمِينَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، والسَّلَامُ كما قدْ عَلِمْتُمْ"[1].

إنّه لشرفٌ عظيم ومقام كريم وصلاة تشريف ودعاء وتعظيم من الله وملائكته والمؤمنين لنبيّه الكريم، ونداء جليل موجَّه من ربِّ العالمين لكلِّ المؤمنين بالدعاء والثناء والبركة على النبي الأمين، مقابل الأجر الكبير من الله العليم. ففي الحديث: عن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

قَالَ: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا"[1].

---

[1] صحيح الإمام مسلم رقم 405.

فالصلاة دعاء وثناء وطلب ورجاء من الله لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم. وهكذا تعلّمنا درسًا من أبي بن كعب رضي الله عنه فقد قال: "قلت: يا رسول الله فإني أكثر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؟ أي من الدعاء– وكان لأبي بن كعب ورد ودعاء يدعو به في كل يوم، فكم أجعل لك في صلاتي؟)

قال: ما شئت، قلت: الربع؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذن تُكفى همك ويغفر لك ذنبك". قال الترمذي: حديث حسن صحيح، إذًن أكثروا من الصلاة على الهادي المنقذ صلى الله عليه وسلم...

إذن يحق أن يكون مولده ربيعًا دائمًا مخضرًا على البشرية جمعاء بما نالهم من ولادته وبعثته ورسالته...

قال تعالى: {...وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ...}[2].

---

[1] رواه مسلم 408.

[2] الأنبياء 107.

فرسالته رحمة أنقذ بها البشرية من الضلال إلى الهداية، وأخرجهم من الظلمات إلى النور وما زال نور الهداية يشع نورًا يضيء الكون. فتحَ اللهُ به أعينًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا...

هذا الربيع هو الذي حمل لواء البشرى بأنواعها وألوانها وأطيافها إلى العالمين، قال الله تعالى: {.. وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}[1] مبشرًا برسالة ربّه الكريم لكلِّ المؤمنين، ومنذرًا كلَّ معرض وعنيد بأشد وعيد.

ربيع دائم الخضرة والنضارة والهواء العليل والنسيم اللطيف الخفيف يجذب إليه كل الأنفس الرضية بحسن أخلاقه وطيب كلامه ومزاجه ولا ينكر ذلك أحد إلا معاند...

قال الله تعالى: {...فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...}[2].

فقد ورد: "لَمَّا تُوُفِّيَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ، جاءَ ابنُهُ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلَهُ أنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فيه أباهُ، فأعْطاهُ...."

---

[1] سبأ 28.

[2] آل عمران159.

تبركًا؛ فهو على الرغم من نفاق عبد الله بن أبي إلا أنه يعلم رحمته وشفقته على كل العصاة المذنبين...

وكان له مقام كريم عند ربِّ العالمين...

قال الله تعالى: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"[1]، وجوده صلى الله عليه وسلم رحمة بين قومه طالما التزموا الاستغفار والعمل الصالح...

عاد الربيع دومًا مع الرحمة مرّة ومرّات بعدد السنوات بكل الصفات،

منها: اللين واللطف والرأفة والقلب الرحيم والشفافية والشفقة على كل المؤمنين،

قال الله تعالى: {...حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ...}[2].

جاء الربيع بما فيه من الخيرات والشمائل والصفات والحسنات مرّات عديدة وتميّز عن كل الفصول ربيعًا بزهره وورده اختارها رب العالمين لمولد أمة الرسالة لم يكن لها وجودا فرفع اسمها في الكون وميَّزها ربُّها على كل

---

[1] (الأنفال: 33).

[2] التوبة 128.

الوجود بالخير والوسطية، قال الله تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}[1].

فمولوده ربيع دائم من أفضلكم وأكرمكم وأعلاكم نسبا وشرفا ومكانة، فجَوْهَر معدِنه نَفِيس، شريف عفيف معروف بين قومه بالصادق الأمين...

قال الله تعالى: {... قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...}[2] أي من جلدتكم أو من أفضلكم...

وصفه أقرب الناس إليه عند مبعثه بأحسن الصفات في كلمات موجزات ذات معانٍ ودلالات لا توجد إلا فيه بالذات! {قالتْ خَدِيجَةُ أم المؤمنين –رضي الله عنها: ...كلَّا، أَبْشِرْ، فو اللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أبدًا، فو اللهِ إنَّكَ لَتَصِلُ الرحِمَ، وتصدُقُ الحديثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوَائِبِ الحقِّ}[3].

ومن لطف وحسن شمائله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه أنّه كان رحيمًا ودودًا في تعامله ومحاسنه متواضعًا ذو هيبة ووقار مع ما له من مكانة ومنزلة عند ربه يهابه من لا يعرفه! "

---

[1] آل عمران 110.

[2] التوبة 128.

[3] صحيح مسلم.

أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَهُ مِنَ الرِّعْدَةِ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ،

إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ".

يا صاحب التواضع والهيبة والقدر الرفيع يا رسول الله لك وعليك أفضل الصلاة والتسليم، كم أنت حليم ما روّعت هذا الرجل المسكين لا بل هوّنت عليه وسكنت روعه...

وفي المقابل وصف في القرآن الكريم: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...}[1].

فالرحمة تخصُّ المؤمنين بقدرة ربّ العالمين، فعن جابر بن عبدالله –رضي الله عنه–،

قال صلى الله عليه وسلم: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ..."، فقد كان يخافه الأعداء لشدة بأسه وشجاعته وقوة شكيمته... ".

---

[1] (الفتح: 29).

فأقْبَلَ القَوْمُ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بنُ الحَارِثِ يَقُودُ به بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ، وَهو يقولُ: أَنَا النبيُّ لا كَذِبْ... أَنَا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ.

قالَ البَرَاءُ: كُنَّا وَاللَّهِ إذَا احْمَرَّ البَأْسُ نَتَّقِي به، وإنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي به، يَعْنِي النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ" صحيح مسلم.

خلوقًا صلى الله عليه وسلم صدوقًا أمينًا عفيفًا لطيفًا على كل حال ومآل، لسانه وقلبه طاهرَين؛ فلم يكن طعّانًا ولا لعّانًا ولا فاحشًا ولا متفحّشًا، ولا يحمل في قلبه حقدًا أو بغضًا على أحد حاشاه الله، محبًّا للخير وأهله،

روى أنس رضي الله عنه قال: "لَمْ يَكُنِ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَبَّابًا، ولَا فَحَّاشًا، ولَا لَعَّانًا، كانَ يقولُ لأحَدِنَا عِنْدَ المَعْتَبَةِ: ما له تَرِبَ جَبِينُهُ"[1].

يحب سلامة الصدر والسريرة ولا يحب أن يسمع إلا خيرًا عن أصحابه،

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يُبَلِّغُنِي أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئًا، فإنِّي أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سَلِيم الصَّدر".

---

[1] صحيح البخاري 6031.

هكذا يكون التعليم وأدب التربية في عدم نقل الحديث لا غيبة ولا نميمة ولا إفشاء للسر والخبر، وإنّما ستر وصون وعفو وعافية وسلامة ...

وتمّت ملاحقته من قبل المشركين، وتحمَّل من أجل الرسالة المصاعب والمشاق، وكان من أولي العزم من المرسلين، وقد شهد له بذلك ربُّ العالمين في سورة الشورى آية 13 قوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}.

ومع هذا كله ضيّق عليه الكفار الحصار ثلاث سنوات في شِعب أبي طالب ومنعوا عنه وعن قومه الطعام والشراب وألّا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلّموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم... حتى جاء الفرج من الله لرسوله الكريم؛ في رحلة الإسراء والمعراج التي نزل فيها أفصح بيان في القرآن الكريم في سورتي الإسراء والنجم...

وقد تلا خروجه صلى الله عليه وسلم من الحصار ببضعة أشهر فيما عُرف "بعام الحزن" وفاة عمّه أبي طالب وزوجه خديجة –رضي الله عنها–، وقد اشتدّت الصعاب عليه فخرج صوب الطائف لعلّه يجد فيهم معينًا

واستجابةً ونصيرًا لعقيدة التوحيد، فردَّه أهلُها وأغروا به سفاءهم وأطفالهم وأسالوا الدم من قدميه الشريفتين، ومع هذا كان ودودًا رحيمًا لا يحمل في قلبه إلّا الرحمة والدعوة لهم والشفقة عليهم، وأعذرهم لجهلهم لأنّه صاحب رسالة ومبدأ ومنهج... وهذا التصرف الحكيم منه صلى الله عليه وسلم، والصفح الجميل، عالج الإساءة بالإحسان! وهذا أكبر دليل وبرهان، وعلامة نصر للدين الميسر المبين...

وكان دعاؤه الخالد ومناجاته لربّه العلي القدير:

اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الـرّاحِمِينَ! أَنْـتَ رَبّ الْمُسْتَضْـعَفِينَ وَأَنْـتَ رَبّي، إلَى مَـنْ تَكِلُـنِي؟ إلَى بَعِيـدٍ يَتَجَهّمُـنِي؟ أَمْ إلَى عَـدُوّ مَلّكْتَـهُ أَمْـرِي؟ إنْ لَمْ يَكُـنْ بِـك عَلَـيّ غَضَـبٌ فَـلَا أُبَالِي، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَـاتُ وَصَـلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الـدّنْيَا وَالْآخِـرَةِ مِـنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِـلّ عَلَـيّ سُـخْطُكَ، لَـك الْعُتْـبَى حَـتّى تَرْضَـى، وَلَا حَـوْلَ وَلَا قُـوّةَ إلّا بِك"[1].

[1] ابن هشام420/1.

وكانت دعوته صلى الله عليه وسلم مستجابة، فجعلها في الخير وخصّ بها قومه من المعرضين. تصوّر لو دعا عليهم بالهلكة والعذاب وأطبق عليهم الأخشبين لانتهوا كغيرهم من الأمم، وإنّما دعا لهم بالهداية

حيث قال صلى الله عليه وسلم: "...فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".

هذه هي دعوة الإيمان قالَها رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: "بل أرجو أن يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصلابِهِم مَن يعبدُ اللَّهَ، لا يشرِكُ بِهِ شيئًا".

الحمد لله فكم وكم وما زالت تلك الديار تعبد الله لا أحد سواه ولا تشرك به أحدًا، إنها الهمة والعزيمة منه صلى الله عليه وسلم والصبر والثبات على التبليغ، انظركم نحن مقصرون في تبليغ الرسالة والاستفادة منها، وما زلنا أيصح سرد سيرته أم لا؟! رسول كريم لا تذكر مناقبه وخصائصه! والعالم اليوم المسلم يقتل المسلم، وتربيته وتعليمه لنا وطلبه من ربه أن يرد العذاب عن المشركين وذراريهم أملًا بالهداية ولو بعد حين

بعد تبليغهم الرسالة سيرة يجب وجوبًا أن تنشر في كل وقت وحين جهارًا نهارًا...

فقد لاقى في تبليغ الرسالة صلى الله عليه وسلم الصعاب...

ففي مقدمة الحديث المذكور أعلاه تسأل السيدة عائشة –رضي الله عنها– "أنَّها قالتْ لرسولِ اللَّهِ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: هل أتَى عليكَ يومٌ كانَ أشدَّ مِن يومِ أحدٍ؟

فقالَ: لقد لقيتُ مِن قومِكِ، وَكانَ أشدَّ ما لقيتُ منهُم يومَ العقبةِ إذ عرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كلالٍ، فلَم يجبْني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأَنا مَهْمومٌ علَى وجهي، فلَم أستفِقْ إلَّا وأَنا بقرنِ الثَّعالبِ، فرفعتُ رأسي، فإذا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ عليهِ السَّلامُ، فَناداني فقالَ: يا محمَّدُ، إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ، قد سمِعَ قولَ قومِكَ لَكَ، وما ردُّوا عليكَ، وقد بعثَ اللَّهُ ملَكَ الجبالِ لتأمرَهُ بما شئتَ فيهِم...".

وكان صلى الله عليه وسلم يحثُّ أصحابه على ذلك رضي الله عنهم {قَالَ النَّبيَّ ﷺ لِعَليٍّ –رضي الله عنه: فواللَّهِ لأنْ يهْدِيَ اللَّه بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم} أي تربية هذه، وأي تشريع وتعليم وتشجيع!!!

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم وحبّه وحسن عفوه ولطفه، ففي فتح مكة المكرمة أكرم قومه رغم تمكّنه من رقابهم؛ فالعفو عند المقدرة، وزاد على كل من سبقه من الخلق ولم ينتقم لنفسه...

قال ابن هشام: {حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟

قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء}، إذن هكذا يكون العفو والصفح الجميل، الإحسان إلى من أساء إليك، تأليفًا للقلوب وتمتينًا لصلتهم بالدين...

وقد شهد له الواحد الأحد، الفرد الصمد في سورة القلم وما خطت الآيات القرآنية إلا إليه بالذات بأمر ربّ العالمين، قال الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}[1] وتميّز في صفاته صلى الله عليه وسلم وحسن كلامه وطيب معاملته مع كل البشر حتى باقي المخلوقات فقد شكى له الجمل وبكى بين يديه..

{عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه قَالَ: فَدَخَلَ أي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائِطًا (بُسْتَانًا) لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَا رَأَى النَّبِيَّ

[1] القلم 4.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ...}[1].

أي نبي هذا؟ ألا يحق أن نتذكر محامده وصفاته وننشرها للعالم كله أفرادا وجماعات، مدارس وجامعات، تربية وخلق وحسن معاملة الإنسان لأخيه الإنسان، وحتى للحيوان الاعجم الذي سخره الله لخدمة الإنسان، والإحسان إليه، ونخفف في الحمل عليه ونسقيه ونطعمه ونأويه عن الحر والقر؛ فإنّ له إحساس وشعور فهو مخلوق قد يشكوك إلى الله خالقه...

وقصة أخرى مع الطير الضعيف والنمل:

"روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنَّا معَ رسولِ اللَّهِ في سفَرٍ فانطلقَ لحاجتِهِ فرأَينا حُمَّرةً معَها فرخانِ فأخَذنا فرخَيها فجاءت تعرِشُ فجاءَ النَّبيُّ فقالَ: مَن فجعَ هذِهِ بولدِها؟ ردُّوا ولدَها إليها.

ورأى قريةَ نملٍ قد حرَّقناها. فقالَ: مَن حرَّقَ هذِهِ؟ قُلنا: نحنُ قالَ: إنَّهُ لا ينبَغي أن يعذِّبَ بالنَّارِ إلَّا ربُّ النَّارِ"[2].

---

[1] أخرجه أبو داود2549.

[2] محقق في رياض الصالحين 519...

هـذه هـي التعـاليم الإسـلامية النبويـة عـدم الإيـذاء للطيـور ولا حـرق للحشـرات؛ فهـي تـؤدي دورهـا في جمـال الحيـاة وبناءهـا، فـلا تحـرم تلـك المخلوقات الحياة، واتركها تتمتع بحياتها، لا بل قدّم لها ما ينفعها ...

قال صلى الله عليه وسلم: "في كل كبِد رطبة أجرٌ" إذًن أجرك أكثر من حسن معاملتك ورفقك بالحيوان الحي، تعاليم نسيت وفرّط بها وتعالت بعض الأنفس عن القيام بها...

وهكـذا درج أصـحابه رضـوان الله عليهم بالاتبـاع لسـنته صـلى الله عليـه وسلم..

ومـرّةً سـئل أبـو هريـرة عـن سـبب كنيتـه، فقـال: كنـتُ أرعـى غـنمَ أهلـي، وكانت لي هِرَّةٌ صغيرةٌ، فكنتُ أضعُها بالليلِ في شجرةٍ، وإذا كان النهارُ ذهبتُ بها معي، فلعبتُ بها، فكنُّوني أبا هريرةَ"،

ما المانع من نشر تلك الفضائل والمحافظة على الثروات الحيوانية التي لم تعد في حسبان إحسان الإنسان؟؟؟

وحتى الشجر والحجر فقد حنّ الجذع إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جماد يابس لا حياة فيه، وكان صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل إليه وضمه أمام جمع من الصحابة الكرام عليهم من الله الرضوان،

قال جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ فَإِنَّ لِي غُلامًا نَجَّارًا، قَالَ: إِنْ شِئْتِ، قَالَ: فَعَمِلَتْ لَهُ الْمِنْبَرَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ}.

ماذا يعني لنا هذا التصرف الجميل مع الجماد؟ وما الأمر الذي منه نستفيد! يبيّن لنا صلى الله عليه وسلم آثار محبة الأشياء الخاصة بنا؛ فهي مقتنياتنا وفيها ذكرياتنا، وعدم التفريط بها؛ فقد أصبحت جزءًا لا يتجزأ من عادات حياتنا تألفها أرواحنا وتستريح لها، نحن نحب مقتنيات قد كان يحبها أباءنا وأمهاتنا ونحتفظ بها وهي قد تكون في نظر الآخرين لا قيمة لها ألا أننا نقول عنها هذه حديقة جدي وبستانه... إذًا أحبّوا ما يحبّه رسول الله ولا تتخلّوا عن تعاليمه وانشروها بين خلقه...

عن جابر بن سَمُرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعرفُ حجراً بمكةَ كان يسلمُ عليَّ قبل أن أبعثَ إني لأعرفُهُ الآن"[1].

---

[1] رواه مسلم 2277.

ومن لطف دعوته وأسلوبه وحكمته من القرآن الكريم قال الله تعالى: "ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[1].

وفي الحديث قال ابن عباس رضي الله عنهما وجاءه أعرابي فقال: بمَ أعرفُ أنك نبيٌّ؟ قال: إن دعوت هذا العذقَ من هذه النخلة يشهدُ أني رسول الله فدعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزلُ من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: ارجع فعاد، فأسلم الأعرابي" سنن الترمذي...

سبحان من سخّر لرسوله أعظم برهان وأكبر دليل لكي يقنع شخصًا وفردًا واحدًا فقط للإيمان!

لمَ لا نقدم نحن براهين للعالم على سماحة الإسلام ولا نشغل أنفسنا ووقتنا في القيل والقال دون فائدة ومضيعة للوقت واليوم الذاهب لن يعود مع الزمان... اعمل كعمله صلى الله عليه وسلم...

ومن طيب صفاته صلى الله عليه وسلم والتي ظهرت في دعوة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما له.

---

[1] النحل 125.

قـال: دعـوت الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم يـوم الخنـدق وهـم أشـد مـا يكـون والجـيش للطعـام والشـراب وقـد اقتصـر جـابر علـى دعـوة الرسـول الكريم وبعض أصحابه لقلة الزاد...

فجـاء جـابر يسـأل زوجـه كيـف يكـرم نـبي الله عليـه الصـلاة والسـلام... قالـت –أي زوجـة جـابر: عنـدي شـعير وعنـاق –جـدي صـغير–، فـذبحت العنـاق، وطحنـت الشـعير، حـتى جعلنـا اللحـم في البرمـة –القـدر الـذي يوضع على النار للطبخ–، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأكافي –ما يوضع تحت القدر من الحجارة لحمله عليهـا– قـد كـادت أن تنضـج، فقلـت: طعيمٌ لي؛ فقـم أنـت يا رسـول الله ورجل أو رجلان،

قال: كم هو؟ فذكرت له.

قال: كثير طيب!

قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي...

فقال: قوموا. فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته

قال: ويحك! جاء النبي صلى الله عليه وسلم، والمهاجرون والأنصار معه،

قالت: هل سألك؟ قلت: نعم.

فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يقسم الخبز ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذوا منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية.

قال: كلي هذا وأهدي، فإنّ الناس أصابتهم مجاعة.

هذه بركة من بركاته ونعمة من نعمه على نبيه عليه الصلاة والسلام، فقد أطعم جيشًا كثيرًا خرج في سبيل الله لحفر الخندق في غزوة الأحزاب.

وقال عليه الصلاة والسلام في ختام القصة للمرأة: كلي هذا وأهدي، فإنّ الناس أصابتهم مجاعة،

قالت: {فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع} ما شاء الله.

وهكذا علّمنا صلى الله عليه وسلم أنّ طعام الواحد يكفي اثنين من باب التضامن والتكافل والتعاون وعدم الأنانية ونوع من الإيثار...

ومن بركات جسده الشريف صلى الله عليه وسلم، فقد أوعز لأبي طلحة –رضي الله عنه– أن يقسم شعرات الرسول، فقد روى الإمام مسلم وغيره عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لما حلق شعره بمنى فرق شقه الأيمن على أصحابه الشعرة والشعرتين، وأعطى أبا طلحة الشق الأيسر كله،

ففي كتاب الفضائل تحت عنوان "بَابُ طِيبِ عَرَقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ".

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عِنْدَنَا- من القيلولة وقت الظهر-، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ...."

وأمّ سليم هي أمّ أنس بن النضر رضي الله عنهما خالة النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة يقيل في فراشها...شرح النووي على مسلم...

ومن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم أن نبع الماء من بين أصابعه، من بين دم ولحم بإذن الله جلّ جلاله، ففي حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه قال: «عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ يَتَوَضَّأُ مِنْهَا فَجَهَشَ النَّاسُ...

فَقَالَ مَا لَكُمْ؟

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلا مَا نَشْرَبُهُ إِلاَّ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، فَقِيلَ: كَمْ كُنْتُمْ؟

قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً}.

هذه هي إرادة الله وتأييده وعونه له عليه أفضل الصلاة والسلام، سبحان الله من سخر نبع الماء بين أصابعه وخرج ماء زلالًا عذابًا فراتًا...

قدرة الله القادر على كل شيء أجراها على يدي نبيه أمام خلقه...

فلا تستغرب ولا تتعجب،

وقل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم...

قال أنس رضي الله عنه وقد قدم في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم عشر سنوات

قال: "ما شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكًا، وَلَا شيئًا أَطْيَبَ مِن رِيحِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وَلَا مَسِسْتُ شيئًا قَطُّ دِيبَاجًا، وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مَسًّا مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ".

ورَوَى الإمام الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلائِلِ:

عَنْ قَتَادَةَ بنِ النُّعْمَانِ: أَنَّهُ أُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَسَالَتْ حَدَقَتُهُ عَلَى وَجْنَتِهِ فَأَرَادُوا أَنْ يَقْطَعُوهَا فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: لا، فَدَعَا بِهِ فَغَمَزَ حَدَقَتَهُ بِرَاحَتِهِ، فَكَانَ لا يَدْرِي أَيَّ عَيْنَيْهِ أُصِيبَتْ}.

ويحكى أنّه قَدْ وَفَدَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ رَجُلٌ مِنْ ذُرِّيّة قتادة بعد ذلك في زمن التابعين

فَسَأَلَهُ عُمَرُ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ الّذِي سَالَتْ عَلَى الْخَدّ عَيْنُهُ ** فَـرُدّتْ بِكَـفّ الْمُصْـطَفَى أَيّمَـا رَدّ
فَعَـادَتْ كَمَـا كَانَـتْ لِأَوّلِ أَمْرِهَـا ** فَيَا حُسْنَ مَا عَيْنٍ وَيَا حُسْنَ مَا خَدّ

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: خَرج معاوِيَة رضي الله عنه

"...علَى حَلْقَةٍ فِي المسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسكُمْ؟ قالُوا: جلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّه.

قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسكُم إِلاَّ ذَاكَ؟

قالوا: مَا أَجْلَسنَا إِلاَّ ذَاكَ،

قَالَ: أَما إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمةً لَكُم وَمَا كانَ أَحدٌ بمنْزِلَتِي مِنْ رسُولِ اللَّهِ ﷺ أقلَّ عنْهُ حَدِيثًا مِنِّي: إِنَّ رسُول اللَّهِ ﷺ خرَج علَى حَلْقَةٍ مِن أَصحابِه،

فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جلَسْنَا نَذكُرُ اللَّه، ونحْمدُهُ علَى ماهَدَانَا لِلإِسْلامِ، ومنَّ بِهِ علينا.

قَال: آللَّهِ مَا أَجْلَسكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟ قالوا: واللَّه مَا أَجْلَسنا إِلاَّ ذَاكَ.

قالَ: أَما إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهمةً لكُمْ، ولِكنَّهُ أَتانِي جبرِيلُ فَأَخْبرنِي أَنَّ اللَّه يُباهِي بِكُمُ الملائكَةَ"[1].

وروى الطبراني: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: جَزَى اللَّهُ عَنَّا مُحَمَّدًا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، أَتْعَبَ سَبْعِينَ كَاتِبًا أَلْفَ صَبَاحٍ)[2].

اللهم ارزقنا شفاعته واسقنا من يده الشريفة شربة ماء لا نظمأ بعدها والمسلمين، ونشهد أنّه قد بلّغ رسالة ربّ العالمين وأدّى الأمانة ونصح الأمّة وأزاح عنها الغمّة وجعلها على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا ضال...

وأصلي وأسلم على من هذه صفاته وأخلاقه وشمائله.

---

[1] رواهُ الإمام مسلمٌ..

[2] 1450/4.

عن دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني، من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا -في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة- نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأة والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

المحتويات

الإهداء 6

مقدمة..... 7

مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا اللَّبَنُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ..... 22

أَدب الوَصْف في نهج أمّ معبد..... 28

كلمة حَقَّ لأُمَّ مَعْبَد..... 46

مولد الربيع النبوي..... 56

المحتويات 83

أحمد محمد النزال الشديفات

دكتور في الشريعة الاسلامية، قاض وأديب
وكاتب وقصصي وخطيب ومصلح اجتماعي.

مسيرة الهجرة

+212 771 814 934
basma24design@gmail.com
دار بسمة للنشر الإلكتروني

2 108130 113916